

الجماعة كاستعداد داخلي: حل تشارلز تايلور لمفارقة الأصالة الفردية والالتزام الجماعي

The Community as an Inner Disposition: Charles Taylor's Resolution of the Paradox of Individual Authenticity and Collective Commitment

عبد الرحمان جوادي^{1*}، فتحي المسكيني²

¹ المعهد العالي للعلوم الإنسانية (تونس)، djouadiabderrahmane80@gmail.com

² المعهد العالي للعلوم الإنسانية (تونس)، msknfth@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025-12-31

تاريخ القبول: 2025-12-06

تاريخ الاستلام: 2025-11-05

ملخص: يعالج هذا المقال إشكالية الأصالة الفردية وصلتها بالالتزام الجماعي بوصفها من أهم القضايا المحورية في الفلسفة الاجتماعية والسياسية المعاصرة، حيث ينطلق تشارلز تايلور من نقده للنزعة الفردانية المتطرفة التي تفترض استقلال الذات عن محيطها الثقافي والاجتماعي، ليؤكد أن الهوية الإنسانية لا تنمو في عزلة وإنما تتشكل عبر شبكة من العلاقات الحوارية و من خلال أطر رمزية ولغوية مشتركة ، وبالاستناد إلى مفهومي الذات الحوارية وسياسية الاعتراف، حيث يطرح تايلور تصورا يدمج الفرد والجماعة، حيث تصبح الجماعة مكونا بنويا في تكون الذات، وليست مجرد سلطة مفروضة من الخارج، مما يجعل الاعتراف المتبادل شرطا أساسيا لتحقيق الأصالة كما يعيد هذا التصور تعريف الحرية باعتبارها تحقق للذات في سياق اجتماعي غني ويتيح إطارا عمليا لفهم التعددية الثقافية والتوفيق بين القيم المشتركة والاختلافات الفردية.

الكلمات المفتاحية: تشارلز تايلور، الاعتراف، الأصالة، الهوية، الجماعة.

Abstract: This article addresses the problem of individual authenticity and its relation to collective commitment as one of the central issues in contemporary social and political philosophy. Charles Taylor begins with his critique of the extreme individualism that assumes the self to be independent of its cultural and social environment, emphasizing instead that human identity does not develop in isolation but is formed through a network of dialogical relations and within shared symbolic and linguistic frameworks. Drawing on the concepts of the *dialogical self* and the *politics of recognition*, Taylor proposes an approach that integrates the individual and the community, viewing the latter as a constitutive element in the formation of the self rather than merely an external authority. In this sense, mutual recognition becomes a fundamental condition for achieving authenticity, while this perspective redefines freedom as the realization of the self within a rich social context, providing a practical framework for understanding cultural pluralism and reconciling common values with individual

Keywords: Charles Taylor, recognition, authenticity, identity, community

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

إن ما تشهده الفلسفة السياسية المعاصرة من توترات متزايدة بين مطلب الحرية الفردية والحاجة إلى الالتزام الجماعي هو توتر تجسد في الخلافات بين التيارات الليبرالية التي تعلي من قيمة الفرد وشأنه باعتباره فاعل مستقل وحته على تحقيق ذاته الفريدة والتعبير عن أصالة شخصيته، وبين المدارس المجتمعية التي تعد أساسا للشرعية السياسية والأخلاقية، التي ترى بأن الإنسان لا يمكنه العيش منعزل عن الجماعة التي ينتمي إليها، والتي تفرض عليه التزامات وقيم مشتركة حيث يظل الإنسان دائما اجتماعي بطبعه، هذا التوتر بين الرغبة في الحفاظ على الأصالة الفردية والحاجة إلى الالتزام الجماعي يخلق مفارقة تبدو في الظاهر عصية الحل، وهذه المفارقة أطلق عليها تشارلز تايلور "مفارقة الأصالة". وفي هذا السياق يعد الكندي تايلور من أبرز وأهم الفلاسفة الذين تناولوا هذه المفارقة بتحليل دقيق و معمق وخاصة في كتابه أخلاقيات الأصالة ، فمن خلال هذا كيف يمكن للفرد أن يحافظ على أصالته وحرية في عالم تتحدد فيه هويته من خلال الروابط الجماعية؟ .

1- مفارقة الأصالة في الفكر الليبرالي:

تعد مفارقة الأصالة الفردية والالتزام الجماعي نتاجا لتطورات فكرية واجتماعية شهدتها الحضارة الغربية وبالضبط منذ ظهور الحداثة " عصر التنوير ". حيث بدأ التركيز يتجه نحو الفرد ككيان مستقل بذاته يمتلك عقلاً وإرادة حرة وقادر على توجيه مصيره، وفق إرادته الخاصة وقد تعزز هذا التوجه مع ظهور الفلسفات التي أكدت على الذاتية والفردية مثل "ديكارت " الأنا أرسى دعائم المعرفة الفردانية للمعرفة " (تايلور، 2014، ص 243). فكرة الأصالة الفردية تطورت بشكل خاص مع التيار الرومنسي ما بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، حيث أكدت على أهمية التعبير عن الذات الفردية وشددت عليها، والبحث عن الحقيقة الداخلية، والعيش وفقا لمبادئ شخصيه أي التقيد بمبادئ ذاتية في أسلوب الحياة غير مقيدة بالأعراف أو التقاليد الاجتماعية (تايلور، 2021، ص 49). هكذا غدا مفهوم الأصالة مرادفا للوفاء للذات والسعي إلى التميز والابتكار والانفكاك عن الضغوط الخارجية، غير أن هذا التركيز المتزايد على استقلالية الفرد أفضى إلى توتر واضح مع ضرورة الانتماء إلى الجماعة والخضوع إلى معاييرها، و الالتزام بقيمها لهذا نتساءل :كيف يمكن للفرد أن يكون أصيلا وفريدا و في الوقت نفسه جزءا من كيان اجتماعي يطالبه بالتنازل عن حريته لصالح الصالح العام؟.

من هنا يضع الفيلسوف الكندي المعاصر تشارلز تايلور مفهوم الأصالة في قلب مشروعه النقدي للحداثة معتبرا إياها ليست مجرد نزعة ذاتوية سطحية، بل قيمة أخلاقية حداثية تقوم على أن لكل فرد طريقته الخاصة في عيش الخير، لكنه في الآن نفسه يبين أن هذه الأصالة قد انزلت عن جذورها الفكرية في الليبرالية أي انحرفت عن معناها الأصيل في الفكر الليبرالي، لتأخذ شكل نزعة سطحية وتكون مجرد نزعة نرجسية مبتذلة، فالأصالة كما يعرفها تايلور ليس مجرد أن يكون الفرد "مخلصا لذاته" بمعزل عن الآخرين، بل هي القدرة على عيش حياة ذات معنى عبر الانفتاح بين ما هو أصيل وما هو زائف، أي القدرة على الحكم (Taylor, 1989, pp91,95) ، وفي كتابه "أخلاقيات الأصالة" يبين تايلور أن الأصالة الحقيقية لا تتحقق إلا عبر الاعتراف المتبادل الذي يجعل من الهوية ذات طابع حوار، أي أنها لا تتشكل إلا داخل شبكة من العلاقات مع الآخرين (تايلور، 2021، ص 71) ، من هنا ينتقد تايلور النزعة الليبرالية الذرية التي ترى الفرد ككائن مستقل مكتف بذاته، ويعتبر أن هذا التصور يحول الأصالة إلى مجرد نزعة نرجسية ضحلة (سطحية) وذلك باضمحلال وانحلال شبكات التضامن الاجتماعي (Taylor, 1995p181) ، ويقترح بديلا يقوم على فهم الذات ككائن أخلاقي يتحدد من

خلال التمايزات القومية بين القيم والمعايير التي تمنح لحياته ثقلاً ومعنى، وهكذا تصبح الأصالة عند تايلور نقداً من الداخل لليبرالية، إذ يحافظ على مبدأ الحرية الفردية ولكنه يثريه بمطلب الاعتراف والانتماء بجماعة من القيم وهذا ما يجعل الأصالة جسراً بين النزعة الفردية والالتزام الجماعي.

إن هذا المشروع التايلوري قد تم تناوله من طرف العديد من الباحثون العرب باعتباره محاولة لتجاوز الفردانية الحديثة حيث يرى الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني أن مفهوم الأصالة عند تايلور يرسم أفقا فكريا مبتكرا لفهم أزمة الذات العربية حيث يوضح أن التحديث لا يعني الانسلاخ والانفصال عن المنظومة القيمية بل ابتكار رؤية أصيلة للتوفيق بين مطلب الحرية الفردية وحاجة الذات إلى الاعتراف بالانتماء (المسكيني، 2011، ص 67، 68).

وهكذا فإن تايلور يضع الفكر الليبرالي أمام تحدي مزدوج: فهو ينادي بالحفاظ على الحرية الفردية كقيمة لا غنى عنها في الحداثة ومن جهة أخرى يحث على إعادة تأسيس الحرية داخل نسق اعترافي ومعايير مشتركة تمنحها مشروعيتها ومعناها الأصيل. وهنا يبين تشارلز تايلور أن الليبرالية الحديثة تقف أمام مفارقة حقيقية تتمثل في الجمع بين مطلب الحرية الفردية بوصفها إنجازاً تاريخياً للحداثة، وبين الحاجة إلى أطر قيمية مشتركة تمنح هذه الحرية معناها الأخلاقي وشرعيتها السياسية. فالليبرالية، في صيغتها التقليدية، انطلقت من تصور للذات باعتبارها كياناً مستقلاً عن محيطه الثقافي والتاريخي، مما قاد في كثير من الأحيان إلى نزعة فردانية مغلقة لا ترى في الحرية سوى تحرر من القيود الخارجية. غير أن تايلور يشدد على أن الحرية بهذا المعنى تبقى فارغة من الدلالة ما لم تُؤسس ضمن سياق من العلاقات الحوارية والاعتراف المتبادل الذي يمنح أفعال الفرد قيمة تتجاوز إرادته الفردية. ومن ثم، فإن الحفاظ على مكاسب الحداثة لا يتحقق بمجرد التمسك بحرية الفرد، بل يتطلب في الوقت نفسه بناء أفق جماعي يتيح لهذه الحرية أن تكون ممارسة ذات معنى. وبهذا يدعو تايلور الليبرالية إلى تجاوز طابعها الفردي الضيق، وإعادة وصل الحرية بالأرضية الأخلاقية والثقافية التي نشأت فيها، حتى لا تتحول إلى أداة للانعزال أو إلى مبرر للعدمية، بل تظل وفيه لغايتها الأصلية كشرط لتحقيق الذات داخل فضاء من القيم المشتركة.

2- الأصالة بوصفها بنية حوارية:

إن الأصالة وفق المنظور الفلسفي لتشارلز تايلور ليست مجرد نزوع فردي نحو التعبير الذاتي الحر، بل إنها بنية حوارية تتشكل في إطار من التفاعل مع الآخرين وتفهم ضمن سياق ثقافي وتاريخي مشترك، ففي كتابه الشهير "منابع الذات" يوضح تايلور بأن الهوية لا تتشكل في عزلة، بل إنها تتبلور من خلال لغات مشتركة للمعنى حيث يصبح للفرد القدرة على تحديد موقفه داخل الأفق الأخلاقي للعالم (Taylor, 1989, P144)، وهذا يعني أن الأصالة ليست قيمة متعالية أو مطلقة بل هي ممارسة تاريخية تفهم داخل فضاء من التمييزات القوية التي تتيح للذات تمييز ماله قيمة أسمى وما هو أدنى، ومن هنا ينتقد تايلور النزعة الليبرالية الذرية التي تفرغ الأصالة من محتواها وتحولها إلى انطواء ذاتي.

في حين يوضح في كتابه أخلاقيات الأصالة أن الأصالة تستوجب التزاماً بالصدق تجاه الذات، لكنها لا تنفصل عن شبكات المعنى التي تؤطر عالم الفرد القيمي، أي تصوغ الأفق الذي يتحقق فيه وجود الفرد، أي أنها مشروطه بوجود آخرين يمكن من خلالها التعرف على الذات وأن الأصالة الحقيقية لا يمكن أن تقوم على "كن نفسك وحسب" (تايلور، 2021، ص 54). بل على علاقة اعتراف متبادل تجعل الحوار مع الجماعة شرط لبناء

الذات، لذلك حسب تشارلز تايلور أن كل هوية أصيلة تتأسس على بعد حوارى: نحن نعرف أنفسنا من خلال من نحب ومن نعترف بهم ومن يعترفون بنا (Taylor, 1992, p32)، ومن دون هذا البعد الحوارى وفي غيابه تختزل الأصالة في شعار فرداني يقود إلى انهيار وتفكك النسيج الاجتماعى.

هذه الرؤية تحول الأصالة إلى أداة نقدية تسهم في إعادة صياغة الليبرالية على أسس أكثر إنسانية، فبينما تميل بعض النزاعات الليبرالية على اختزال العدالة في صيغ إجرائية محايدة يؤكد تايلور إن الأصالة لا تستمد مشروعيتها من نزعة فردية مطلقة بل من اندراجها ضمن أفق قيمى مشترك يسمح بأن يربط مشروعه الذاتى بما يتجاوز حدوده الخاصة، أي أنه أوسع من ذاته، وهذا ما يفسر إصرار تايلور على مركزية سياسة الاعتراف باعتبارها الإطار الذى يضمن للفرد إمكانية صون حريته الخاصة ضمن فضاء جماعى مشترك، حيث يشكل الاعتراف المتبادل الشرط الجوهرى ليس فقط لحماية استقلالية الفرد بل أيضا لتعزيز تماسك الجماعة واستمرارية أفقها القيمى (Taylor, 1994, p32).

فالأصالة إذن ليست انكفاء فرديا بل بنية حوارية تؤسس الالتقاء الفردى بالجماعى والتوازن الدقيق بين مطلب الحرية الذاتية وأفق المعنى المشترك. حيث تتجلى الأصالة عند تشارلز تايلور كبنية حوارية تُعيد وصل الفرد بسياقه الثقافى دون أن تبطل فرادته؛ فهي لا تقوم على الانغلاق فى الذات بل على انخراطها فى شبكة من المعانى والقيم المشتركة التى تمنح للحياة الإنسانية أفقا للمعنى. إذ يدرك الإنسان ذاته الحقيقية عبر حوار مستمر مع الآخرين ومع التراث الذى ينتمى إليه، لا عبر العزلة والانفصال عنهم. ومن هنا تصبح الأصالة موقفا أخلاقيا يوازن بين مطلب الحرية الشخصية والحاجة إلى الاعتراف المتبادل داخل الجماعة. إنها مشروع تواصلى حي يسعى إلى تحقيق الذات فى ضوء معايير تتجاوز النزوات الفردية وتستند إلى أفق مشترك يربط الحاضر بالماضى.

3- الجماعة كاستعداد داخلي: نحو أنثروبولوجيا أخلاقية

يقوم تشارلز تايلور بإعادة النظر فى العلاقة بين الفرد والجماعة من خلال ما يمكن تسميته " بالأنثروبولوجيا الأخلاقية " والتي ترى أن الجماعة ليست مجرد إطار خارجى يفرض قيودا على الفرد، بل هي استعداد داخلي متجذر فى البنية التكوينية للإنسان، حيث يؤكد فى كتابه الشهير "source of the self" منابع الذات، أن الذات لا تتشكل فى عزله وإنما تبنى على شبكة من المعانى المشتركة التى تبنى داخل الجماعة وتغذى الهوية فالجماعة ليست مجرد مجموعة من الأفراد بل هي فضاء قيمى يسبق الفرد ويمده باللغات الرمزية التى تمكنه من تحديد موقعه الأخلاقى فى العالم (Taylor, 1989, p 35,36). هذا التصور يعد نقدا ضمنا لليبرالية الكلاسيكية التى نزلت إلى اعتبار الذات كيانا مستقلا متحررا من كل مرجعية سابقة حيث يعتبر تايلور أن هذا الطرح يتعمى على الأساس العلائقى لتكون الهوية الإنسانية.

وتذهب بعض الدراسات الحديثة، مثل دراسة علي (2018) حول انتقال تايلور من الفردانية الذاتية إلى الفردانية الحوارية، إلى أن هذه المقاربة تنقل النقاش حول الحداثنة من التركيز على الذات كفاعل مستقل إلى النظر إليها كنتاج لحوار دائم مع جماعة تُشكل فضاء المعنى والأفق الأخلاقى للحياة المشتركة (علي، 2018، ص 97-112). وهكذا تبرز مساهمة تايلور فى بلورة تصور أخلاقى أنثروبولوجى يجعل من الجماعة عنصرا تأسيسيا فى تكوين الهوية وشرطا لإمكان الحرية ذاتها، حيث لا معنى للحرية الفردية خارج الأفق القيمى الذى تمنحه

الجماعة وتغذيه باستمرار ، هذا الفهم يُحوّل الجماعة من كونها قيدًا يُكبح الإرادة الذاتية إلى شرط أساسي و تكويني للفاعلية الأخلاقية، ويمنح الأصالة الفردية مضمونًا تاريخيًا وحواريًا يتجاوز التصورات التجريدية للفرد المعزول، وهو ما يفسر الطابع النقدي لمشروع تايلور تجاه بعض النزعات الليبرالية التي أغفلت هذا البعد العلائقي للهوية الإنسانية.

هذا الامتداد الحواري للوجود الإنساني (البعد العلائقي) هو ما جعله يتحدث عن الجماعة كاستعداد داخلي بمعنى أن التوجه نحو الآخرين ليس خيارا خارجيا أي عرضيا أو إضافيا بل هو من مقوم جوهرى من مقومات الكينونة الإنسانية، وبعدا أصيلاً في وجود الإنسان، حيث يصرح في كتابه حجج فلسفية philosophical Arguments أن الهوية الشخصية لا تختزل في استبطان فردي لأن الفهم الذاتي يتطلب دائما اطارا من التميزات القيمية المشتركة (Taylor,1995, PP177,178)) ، إن الجماعة بهذا المعنى الذي يطرحه تايلور هي المجال الذي يوفر للفرد إمكانية تحقيق الأصالة وليس بمتناقض مع الحرية فهو يخالف النظرية الليبرالية التي ترى في الجماعة قيда على الحرية و يؤكد أن المشاركة في فضاء القيم والمعاني المشتركة هي شرط أساسي لتمكين الفرد من الاختيار الواعي والمبرر أخلاقيا أي أن الفرد لا يصبح حرا إلا بقدر ما يشارك في فضاء من المعاني المشتركة Horizon of meaning التي تجعله قادرا على الاختيار الواعي والمبرر أخلاقيا Taylor, (1989, P105).

وفي مؤلفه التعددية الثقافية وسياسة الاعتراف Multiculturalisme the of recognition politiques يتعمق تايلور في فهم العلاقة بين الفرد والجماعة من خلال مفهوم الاعتراف فهو لا يراه مجرد طلب اجتماعي عابرا، أي أنه ليس حاجة اجتماعية ثانوية بل هو ضرورة أنثروبولوجية أساسية لتكوين الهوية الإنسانية، وأن هويتنا تتشكل جزئيا عبر الاعتراف أو غيابه وغالبا من قبل أولئك الذين لهم أهمية بالنسبة إلينا (تثبت الصفحة 25, Taylor, 1992). بهذه الصورة لا يصبح الانتماء إلى الجماعة مجرد علاقة قانونية أو اجتماعية بل انه بعدا داخليا ، حيث ينعكس هذا الاستعداد الداخلي في أشكال متعددة من التفاعل الرمزي والأخلاقي والتي تتيح للفرد أن يقدر الآخرين ويمنحهم الاعتراف وفي الوقت نفسه أن يتلقى الاعتراف المتبادل من الآخرين ، بهذا المعنى يصبح الاعتراف المتبادل إطارا جوهريا لتكوين الذات والهوية، حيث يعكس العلاقة المتبادلة بين الفرد والجماعة ويبرز الطابع العلائقي للحرية والأصالة.

وفي كتابه المترجم حديثا أخلاقيات الأصالة (2021 ترجمة أحمد عويز) يوضح تشارلز تايلور أن تحقيق مطلب الأصالة الذي يعد من سمات الذات الحديثة لا يمكن له أن يتحقق بمعزل عن الجماعة. فالأصالة كما أشرنا سابقا ليست مجرد ممارسة فردية تقوم على فكرة "كن نفسك" بل هي عملية دخول في علاقة حوارية أي من خلال تفاعل حواري يجعل من الأصالة قيمة مشتركة متجذرة في نسيج الجماعة، فرغبة الفرد في التميز لا تعني انعزاله بل تنطوي ضمنا على حاجة أصيلة للتواصل مع الآخرين إذ أن وسيلته في التعبير عن ذاته – أي اللغة – ليست ملكا شخصا له بل نتاج تراث بما هي متراكم عبر التاريخ والثقافة، لذلك نجد أن تشارلز تايلور يربط في أنثروبولوجيته الأخلاقية بين الهوية والجماعة فينظر إلى الجماعة كركيزة مكونة للذات وليست محيط خارجي يفرض نفسه عليها، أي لا مجرد إطار خارجي يحدد حركتها .

تبرز هذه المقاربة أن الجماعة تمثل شرطا أساسيا في تشكيل الذات وأن التوجه الداخلي نحوها يشكل محورا لأنثروبولوجية أخلاقية تقوم على الاعتراف والمعنى والحوار ومن هنا يتخطى تايلور بتصوره هذا حدود

الفردانية الليبرالية الصارمة وكذلك الجماعية المغلقة ليقدم بديلاً يقوم التوفيق بين مطلب الحرية الفردية وحاجة الاعتراف المتبادل داخل الجماعة.

4- الاعتراف كأساس أخلاقي للجماعة:

يحتل مفهوم الاعتراف مكانة أساسية في فلسفة تشارلز تايلور، حيث بعد الركيزة المركزية لفهم الجماعة من منظور أنثروبولوجي - أخلاقي، إذ يشكل الإطار الذي من خلاله تفهم العلاقة بين الفرد والجماعة، حيث يرى أن الهوية الفردية لا تبنى في الفراغ وإنما تتأسس داخل فضاء من العلاقات الحوارية التي يقوم جوهرها على الاعتراف المتبادل. فالفرد لا يدرك ذاته إلا من خلال اعتراف الآخرين به، وما لم يتحقق هذا الاعتراف فإن الذات تصاب بما يسميه تايلور "جرماً أخلاقياً" يحول دون تفتحها وتطورها، أي يعرقل مسارها (Taylor, 1992, p33). إذ يقدم تايلور تصور مغاير للجماعة فهي ليست مجرد تجمع يضم أفراداً يسعون وراء مصالح متفرقة كما تفترض بعض الرؤى الليبرالية الذرية، بل تفهم باعتبارها فضاءاً أخلاقياً قوامه الاعتراف، تعطي للهوية الفردية ألقها وللجماعة تماسكها أي أنها تمنح الفرد إمكان بناء هويته ويمنح الجماعة القدرة على الاستمرار والتماسك. وفي كتاب سياسات الاعتراف يوضح تايلور أن مطلب الاعتراف ليس ترفاً ثقافياً بل هو ضرورة أخلاقية إذ يرتبط مباشرة بكرامة الفرد وحرية في صياغة معنى لحياته، فمطلب الاعتراف لا يختزل في كونه شأنًا عرضياً بل ضرورة أخلاقية ملحة (Taylor, 1994, p27). فهو يرى أن غياب الاعتراف يفقد الحياة المعنى، لأن كرامة الإنسان وحرية في منح حياته معنى لا تتحققان إلا عبر اعتراف الآخرين به، لهذا فالاعتراف ليس مطلباً ثانوي أو ترفاً ثقافياً بل هو حاجة أخلاقية أساسية.

إن الاعتراف وفقاً لتشارلز تايلور يتجاوز كونه إجراء اجتماعياً أو قانونياً إلى كونه شرطاً أنثروبولوجياً. وهنا حرص تايلور على التمييز بين الاعتراف كإشباع نفسي وبين الاعتراف كبنية تأسيسية للأخلاق الحديثة، فالمعنى الأول مجرد إرضاء نفسي قد ينتهي إلى أشكال من النرجسية والثاني يؤكد بأن الهوية الفردية لا تبنى في عزلة بل تتجذر ضمن شبكة من العلاقات والمرجعيات المشتركة التي تمنح اختياراته وممارساته دلالة ومعقولة، أي تمنح أفعاله واختياراته معناها وقيمتها، ومن ثم يربط تايلور بين مطلب الاعتراف وفكرة الأصالة مبيناً أن الأصالة لا تتحقق في عزلة بل تستلزم الانفتاح على الآخر والقدرة على تبرير اختيارات الذات ضمن أفق جماعي من القيم (نادية محمد باشا، 2019، ص 622)، وهذا يعني أن كل انتماء جماعي - من العائلة الصغيرة إلى الأمة - يقوم على قاعدة أخلاقية من الاعتراف المتبادل حيث ينتظر من الآخر أن يعترف بي كما أعترف به. وهنا يظهر البعد الحوارية للأصالة حيث يصبح الاعتراف أساساً أخلاقياً يضبط العلاقة بين الفرد والجماعة، ويحول التعددية الثقافية من مجرد واقع اجتماعي إلى مبدأ معياري يجب أن تبني عليه السياسات العامة.

هذه القراءة تجعل تايلور في مواجهة مباشرة مع النزعة الكلاسيكية التي تركز على الحياد والإجرائية، فهو يرى أن العدالة لا يمكن أن تكون مكتملة بمجرد ضمان الحقوق الفردية في إطار قانوني محايد. بل يجب أن تتجسد في سياسات الاعتراف التي تحفظ للفرد والجماعة كرامتهم الثقافية والرمزية (Taylor, 1992, 36). فتايلور يوضح أن الاقتصاص على الحياد القانوني لا يحقق عدالة حقيقية، لأن العدالة تتطلب الاعتراف الفعلي بهويات الأفراد والجماعات وكرامتهم الثقافية. فالقوانين المحايدة وحدها قد تُبقي بعض الفئات في موقع التهميش أو الحرمان الرمزي. ومن ثم تصبح العدالة مشروطة بسياسات تضمن الاحترام المتبادل والاعتراف المتكافئ. وبهذا يضع تايلور تصوره في تعارض مع التقليد الكلاسيكي الذي يفصل العدالة عن أبعادها الاعترافية.

وفق منظور الاعتراف لا تفهم الجماعة على أنها مجرد إطار اجتماعي لجميع الأفراد، بل هي قبل كل شيء مجال أخلاقي يقوم على مبدأ الاعتراف المتبادل، ففي هذا الفضاء يحقق الفرد ذاته عبر الآخرين، كما يجد الآخرين انعكاس ذواتهم فيه، ومن هنا تصبح سياسة الاعتراف لدى تايلور أساساً معيارياً لإعادة صياغة مفهوم المواطنة، إذ لا يختزل الانتماء في الامتثال للقانون، بل يتجذر في تبادل الاحترام والاعتراف بالكرامة والاختلاف وبهذا يغدو الاعتراف ليس مجرد شرط لفهم الجماعة بل قاعدتها الأخلاقية، الأمر الذي يسمح لتايلور بأن يقترح سبيلاً لتجاوز التوتر الحديث بين مطلب الأصالة الفردية ومتطلبات الالتزام الاجتماعي من خلال تأسيس الجماعة على قاعدة الاعتراف المتبادل التي توحد بين قيم الحرية والكرامة والعدالة.

5- البديل التايلوري: نحو فردانية حوارية:

من أبرز المحاولات الفلسفية المعاصرة لإعادة بناء مفهوم الفردانية مشروع تشارلز تايلور حيث يحاول إعادة بناء مفهومها ضمن أفق يتخطى حدود الليبرالية الكلاسيكية وإشكالاتها وما رافقها من نزاعات ذرية وعزلة وجودية، فتايلور لا يرفض مبدأ الفردانية في ذاته بل يسعى إلى بلورة ما يمكن تسميته **بفردانية حوارية** قادرة على حفظ قيمة الحرية الذاتية وفي الوقت ذاته متجذرة في سياق جماعي من المعاني والقيم، فالذات حسب تايلور ليست كيانا مكتفياً بذاته على النحو الذي ذهبت إليه بعض النزعات الوضعية أو النفعية، بل هي نتاج سيرورة علائقية تتشكل داخل لغة مشتركة وعبر حوارات مستمرة مع "الآخرين المهمين" ومن هنا تصبح الفردانية الحديثة غير ممكنة إلا في إطار تواصل يجعل من الهوية ثمرة علاقة لا جوهرًا منعزلًا، "لأن الذات لا توجد إلا بين ذوات أخرى" (تايلور منابع الذات حيدر حاج إسماعيل ص 82) أي أنها لا توجد إلا داخل ما يدعوه "شبكات محادثة (تايلور، منابع الذات، ص 83) (Taylor, 1989, p36).

هذه الرؤية التايلورية مغايرة لتصور هوبز و لوك باعتباره أنه ذات سابقة على الاجتماع. حيث يؤكد تايلور أن الفردانية الأصيلة تنبثق من شبكة علاقات واعتراف متبادل وليس مجرد قدرة على الانعزال أو الانسحاب من الجماعة. فردانية تايلور حوارية بينما فردانية هوبز ولوك ذرية. فتايلور يرفض النموذج الذي يصور الفرد كذرة مكتفية بذاتها، ويقر بأننا نكتسب هويتنا الأخلاقية من خلال حوار دائم مع الآخرين، بينما عند هوبز و لوك، الفرد يُفترض أن يكون كائنًا ذا إرادة ومصلحة سابقة على الجماعة، وتقوم الجماعة/الدولة بعقد اجتماعي لحماية حقوقه. هذا ما يسميه تايلور بالنظرة الذرية **Atomistic** للفرد. وبهذا يباين تصور هوبز ولوك اللذين ينطلقان من رؤية ذرية تجعل الفرد سابقاً على الروابط الجماعية ومستقلاً عنها.

حيث يوضح تايلور مرة أخرى في كتابه منابع الذات أن الهوية الفردية تتكون في فضاء من "الأفق الدلالي المشترك" أي عبر المرجعيات الأخلاقية والرمزية التي تتيح للذات وتسمح لها بتحديد ما هو ذو قيمة بالنسبة لها، وبدون هذا التحديد تصبح كل الخيارات التي يتخذها فارغة من أي معنى، أي أنها تصبح خيارات عبثية. (Taylor, 1989, pp27,28). انطلاقاً من هذا ينتقد تايلور ما أسماه بالفردانية المنحرفة التي تصور الحرية كأداة فردية منعزلة ومختزلة فيها، متجاهلة دور الحوار في بناء وتشكيل الهوية وهكذا تبين أن الفردانية الحوارية ليس مجرد خيار سياسي بل هي أساس وجودي لأن الفرد لا يمكنه إدراك ذاته إلا من خلال التفاعل مع الآخر، ولا يستطيع إضفاء معنى أو تبرير لخياراته إلا ضمن إطار من القيم المشتركة، وبذلك تتحول الفردانية من مفهوم أناني إلى مشروع أخلاقي يتجه نحو الانفتاح على الآخر ويتيح له أن يقول: " هذا الأمر له معنى بالنسبة لي". (تايلور، 2021، ص 50).

إن أهم ما يميز طرح تايلور البديل هو قدرته على الدمج بين الأصالة الفردية و التزام الجماعي أي بين الحرية بوصفها تعبيراً عن الذات والمسؤولية بوصفها اعترافاً بانتماء الفرد إلى جماعة أوسع، فهو يرى أن الحرية الحقيقية ليست مجرد تعبير عن الذات بمعزل عن الآخرين، بل هي مرتبطة بالمسؤولية بوصفها اعترافاً بانتماء الفرد إلى جماعة، فهو يبين في كتابه **أخلاقيات الأصالة** أن الأصالة الحقيقية لا تتحقق في الفراغ بل ضمن أفق تواصلٍ وأن أي محاولة لادعاء أصالة معزولة تنتمي إلى محاكاة سطحية جوفاء أي هي مجرد وهم. (تايلور، 2021 ص ص، 60 ، 61). ومن ثم فالفردانية الحوارية ليست حلاً وسطاً أو تسوية وسطية بين الفرد والجماعة. بل هي إعادة تعريف جذرية لمفهوم الذات. ذات مفتوحة ومتأصلة في لغة مشتركة قادرة على النقد و في الوقت نفسه تتحمل مسؤوليات أخلاقية نابعة من انتمائها للمجتمع.

وهنا لو وضعنا تايلور في مقاربة أخرى مع جون رولز و مايكل ساندل فإن تايلور يطرح مفهوم الفردانية الحوارية بوصفه بديلاً فلسفياً يتجاوز ثنائية الليبرالية الكلاسيكية والجماعية الصارمة، بينما يصور جون رولز الذات في إطار نظريته للعدالة ككيان سابق على كل انتماء ثقافي أو أخلاقي، قادرة على اختيار مبادئ العدالة من " الوضع الأصلي" في وضع افتراضي محايد (رولز، 2009 ، ص 107). يرى تايلور أن هذا التصور يغفل الطبيعة العلائقية لتكون الهوية لأن الإنسان لا يبلور ذاته في عزلة بل عبر انخراطه في لغات الاعتراف المشتركة التي تمنحه تحديد من يكون وما هي القيم التي يتبناها، ومن هنا ينتقد ما يسمى بالنزعة الذرية التي تميز الليبرالية، إذ تفهم الذات فيها كما لو كانت مكتفية بذاتها معزولة عن أي أفق جماعي أو سياق ثقافي مشترك.

أما في مواجهة الجماعية عند مايكل ساندل الذي يعارض هو الآخر التجريد الليبرالي ويؤكد أن الفرد مشبع بالالتزامات الجماعية إلى درجة تصبح معها "الذات المحملة" غير قادرة على أخذ مسافة نقدية كاملة من انتماءاتها لأن هذه الانتماءات هي التي تحدد من هو الفرد وما هي قيمته (ساندل، 2009، ص ص 49 ، 50). لهذا يخشى ساندل أن يؤدي تأكيد دور الجماعة إلى إذابة الفرد في نسيجها، أما تشارلز تايلور فيرفض هذه الإذابة الكاملة، فهو يؤمن بأن الأصالة الفردية يجب أن تحافظ عليها، وأنها تتحقق من خلال الفردانية الحوارية ، هذه الفردانية تسمح للفرد بأن يكون فاعلاً قادراً على الانخراط بشكل نقدي في الحوارات التي تشكل مجتمعه وقيمه.

تطرح الفردانية الحوارية عند تايلور أفقاً بديلاً أخلاقياً وسياسياً للفردانية الذاتية، فإذا كانت هذه الأخيرة أي الفردانية الذاتية تركز على الاستقلال الراديكالي أي الجذري للفرد، فإن الأولى تنطلق من أن فكرة أن الهوية الأخلاقية لا تتبلور إلا ضمن علاقة تشاركية مع الآخرين ، فمعايير فهمها للآخر والصواب ليست نتاج قرارات فردية معزولة، بل هو نتيجة لأفق أخلاقي مشترك يتشكل عبر الحوار والتواصل وفي هذا السياق يكتسب مفهوم سياسات الاعتراف موقعا محورياً وأهمية قصوى ، إذ يذهب تايلور إلى أن تجاهل هويات الأفراد أو الجماعات (الأقليات الثقافية أو العرقية) يلحق ضرراً وجودياً بالأفراد والجماعات وهو ما يشكل أحد أشكال الظلم الاجتماعي. (Taylor, 1992, pp25-26). في حين يؤكد الفيلسوف التونسي **فتحي المسكيني** على هذه الفكرة مشيراً إلى أن الاعتراف هو ما يجعلنا نعيش في عالم مشترك (المسكيني، 2011، ص 91)، بذلك يصبح المجتمع في منظور تايلور فضاء حوارياً لا مجرد تجمع لأفراد منفصلين حيث تبنى الهوية وبعاد تحديد القيم الأخلاقية.

إنّ فإن تشارلز تايلور يقترح تصور بديلاً يقوم على فهم مغاير للفردانية لا بوصفها انغلاقاً للذات وانعزالاً عن الآخرين. بل باعتبارها عملية حوارية تتشكل في التفاعل المستمر بين الحرية الفردية وروابط الانتماء الجماعي، وبهذا المعنى تصبح الفردانية الحوارية مشروعة بالاعتراف المتبادل الذي يعد شرطاً أنثروبولوجياً لبلوغ

الأصالة ومن ثم تقدم أفقا ثالثا يتجاوز حدود النموذجين الليبرالي ولجماعاتي. وبهذا فإن ما يمكن وصفه بـ أفقٍ فلسفيٍّ ثالث عند تايلور يتجاوز الانقسام التقليدي بين الليبرالية والجماعانية، إذ يسعى إلى التوفيق بين مطلب الحرية الفردية وضرورة الاعتراف المتبادل الذي يمنح الهوية معناها ويصون كرامتها. ويؤكد هذا المنظور أنّ الذات الإنسانية لا تُدرك استقلالها إلا في إطار تواصلٍ حواري يتيح لها المشاركة النقدية في صياغة القيم المشتركة، وبذلك يجمع بين تحرير الفرد من العزلة الليبرالية وحمايته من الذوبان في الجماعة، ليقدم أساساً أخلاقياً يربط الحرية بالمسؤولية داخل فضاء اجتماعي وثقافي حيّ.

في مشروعه الفلسفي يسعى تشارلز تايلور إلى إعادة بناء مفهوم الفردانية بطريقة تتجاوز حدود الليبرالية الكلاسيكية وما ترتب عليها من نزعات ذرية وانعزال وجودي. فهو لا ينقض مبدأ الفردانية نفسه، بل يقدمه في صورة فردانية حوارية تحفظ حرية الفرد وفي الوقت ذاته تتجذر في سياق جماعي من القيم والمعاني. وتقوم هذه الرؤية على أنّ الهوية الإنسانية تتكوّن داخل شبكة من العلاقات والاعتراف المتبادل، لا في عزلة عن الآخرين، وأنّ أيّ تصوّر للحرية يغفل هذا البعد العلائقي يتحوّل إلى نزعة فردية منحرفة وفارغة من المعنى. وتختلف هذه المقاربة عن النموذج الذري عند هوبز ولوك، وعن النزعة التجريدية في ليبرالية رولز، وفي الوقت نفسه تتفادى إذابة الفرد داخل الجماعة كما قد يحدث عند بعض الاتجاهات الجماعانية. فالفردانية الحوارية عند تايلور هي إعادة تعريف جذرية للذات الإنسانية بوصفها كائناً حراً ومسؤولاً، لا تنمو أصالته إلا في فضاء تواصلٍ من القيم المشتركة، حيث يصبح الحوار شرطاً لتحديد الخيارات الأخلاقية وصياغة العدالة وسياسات الاعتراف.

6- تقاطعات وحدود: أفاق و قراءات نقدية:

على الرغم من الأهمية التي يجمعها مشروع تشارلز تايلور في إعادة تأسيس العلاقة بين الهوية والجماعة على قاعدة الفردانية الحوارية وسياسات الاعتراف، فإن هذا المشروع التايلوري لم يسلم كغيره من المشاريع الفكرية من جملة من الانتقادات والتي قد تكون على سبيل النقد في حد ذاته أو حتى على سبيل التعقيب، فهذه الانتقادات كانت من زوايا معرفية متعددة، شكلت أرضية خصبة لتوسيع النقاش الفلسفي حول إشكالية الأصالة والانتماء، كما أوضحت الحاجة إلى تعميق أفق التفكير التايلوري ليعطي أبعاداً شاملة لم يولها الدراسة الكافية (اقتصادية - تاريخية - مؤسسية وتاريخية). فمن بين هذه الانتقادات التي اعترضت المشروع التايلوري نذكر:

1.6- البعد المعياري: بين مطلب العدالة وشرط الاعتراف:

من الذين جاءوا في طليعة هذه الانتقادات نجد نانسي فريزر حيث تعد من أبرز الأصوات النقدية التي كشفت عن محدودية المقاربة التايلورية لمسألة الاعتراف. إذ لا يمكن أن يختزل مفهوم الاعتراف في البعد الثقافي والهوياتي، لأنه اختزال يفضي إلى تهميش البعد المادي الاقتصادي للعدالة، فمظاهر الظلم في نظرها لا تنحصر في الإقصاء الرمزي أو تهميش الهوية، بل تظهر كذلك في جميع مظاهر وأنماط التوزيع غير المتكافئ للموارد والفرص (Fraser, 2000, pp114,115). كما تحذر فريزر في دراساتها أن التركيز الأحادي على الاعتراف أيّ الاقتصار على الاعتراف لوحده قد يكرس ويفضي بنا إلى "سياسات الهوية" الضيقة التي تهمش مطالب العدالة الاجتماعية ويحجب مطالبها الواسعة، ولتفادي هذا القصور تقترح فريزر نموذجاً مزدوجاً للعدالة (النموذج المزدوج للعدالة) الجمع بين الاعتراف (البعد الثقافي) والتوزيع (البعد الاقتصادي) (Fraser, 2000, P116). وبمعنى آخر فإنه حسب نانسي فريزر حصر الاعتراف في البعد الثقافي والهوياتي، كما عند تايلور، يُغفل الأسس الاقتصادية للعدالة ويُبقي على أنماط التوزيع غير العادل للموارد. فهي تشير إلى أنّ التركيز الأحادي على

سياسات الاعتراف قد يقود إلى سياسات هوية ضيقة تُهمّش المطالب الاجتماعية الأوسع. ولتجاوز هذا القصور تدعو فريزر إلى نموذج مزدوج للعدالة يجمع بين الاعتراف الثقافي والتوزيع الاقتصادي. وبذلك تسعى إلى مقارنة أشمل تُوازن بين الإنصاف الرمزي والإنصاف المادي.

إلى جانب فريزر يرى أمارتاي سن ومارثا نوسباوم أن مقارنة الكفاءات capabilities approach تقدم بعدا إضافيا لفهم العدالة وتفتح أفقا مغايرا لها، إذ لا يكفي الاكتفاء بالاعتراف الرمزي بالهوية بل ينبغي النظر في مدى قدرة الأفراد على تفعيل إمكاناتهم الفعلية وتحقيق حرياتهم الجوهرية (Sen,1999,pp18-20, Nussbaum,2000, pp70,75). و بالتالي فإن رؤية سن ونوسباوم للعدالة تتجاوز الاعتراف الرمزي بالهوية، إذ تربطها بتمكين الأفراد من تحقيق قدراتهم الفعلية. فالمسألة الجوهرية ليست الاعتراف فقط، بل ضمان الشروط التي تسمح بتفعيل الحريات الجوهرية لكل فرد. وبهذا تفتح هذه المقاربة أفقا أوسع يدمج البعدين الثقافي والاقتصادي في تحقيق العدالة الاجتماعية.

كما قدّم أكسل هونيث، وهو أحد أبرز ممثلي الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت، مقارنة معيارية للاعتراف تُعدّ تطويراً للمشروع التايلوري من جهة ونقداً له من جهة أخرى. ففي كتابه "الصراع من أجل الاعتراف" يذهب هونيث مؤكداً أنّ الاعتراف ليس مجرد تبادل ثقافي أو رمزي، بل إنه يتعدى ذلك ليكون شرط بنيوي لتكوين الذات الحرة، وأنّ إنكار الاعتراف أو حجبهُ يؤدي إلى أشكال مختلفة من الاغتراب والظلم الاجتماعي (هونيث، 2005، ص 45.48). كما يُبين هونيث أنّ تكون الذات الحرة يتطلب ثلاثة أنماط أساسية من الاعتراف: الحبّ في المجال العاطفي الذي يوفّر الثقة بالنفس، والحقوق في المجال القانوني الذي يضمن احترام الفرد كمواطن متساوٍ، والتضامن في المجال الاجتماعي-الأخلاقي الذي يمنح الفرد تقديراً لقيّمته ومساهمته. إنّ تكامل هذه الأبعاد الثلاثة يمكن الفرد من تحقيق هوية متوازنة وكرامة اجتماعية. (هونيث، 2005، ص 92-101). بذلك يُكمل هونيث تصوّر تايلور ويستجيب جزئياً لنقد فريزر، إذ يربط الاعتراف ليس فقط بالهوية الثقافية بل أيضاً بالحقوق والمؤسسات والسياسات العامة، ما يفتح أفقا لتجسيد الاعتراف عملياً في البنى الاجتماعية.

2.6- البعد التداولي: هابرماس ومفهوم الفضاء العمومي:

يورغن هابرماس من أبرز المفكرين الذي تناولوا المشروع التايلوري بالنقد. فرغم تقاطعه في فكرة تشكل الهوية والتأكيد على الطبيعة الحوارية، إلا أن هذا لا يمنع في أن يختلف مع تايلور في الفلسفة النظرية التي ينطلق منها، فإذا كانت مقارنة تايلور منطقية تؤكد على أهمية الأفق المشترك للمعنى، فإن هابرماس يوجه اهتمامه نحو العقلانية التداولية التي تتجسد داخل فضاء عمومي يتيح نقاشات حرة خالية من أي شكل من أشكال الإكراه (Habermas,1995,p 298). في غياب آلية نقدية فإن تصوّر تايلور للهوية قد يقود إلى إعادة إنتاج هويات منغلقة ومتعالية على المسألة، لهذا يشدد هابرماس على أن الحوار لا ينبغي أن يختزل داخل اطر ثقافية ضيقة، بل يجب أن يفتح على أفق كوني يسمح بإخضاع القيم والمعايير المشتركة نفسها للنقد العمومي.

3.6- النقد التفكيكي و القوة: حين يتحول الاعتراف إلى قيد هوياتي:

إن خطاب الاعتراف قد يتحول من أداة للتحرر إلى آلية لإعادة إنتاج القيود، فبدل أن يفتح الجدل أمام تحولات الهوية وتجاوزاتها. قد يرشح الاعتراف أشكالا معيارية تجعل الفرد أو الجماعة أسيرة " قيد هوياتي " يجمد إمكانات التعبير، وهذا ما تبنته جوديث بتلر في إشكالية جوهرية حول الاعتراف (بتلر، 2021، ص 98،100).و في السياق نفسه يحذر ريتشارد روتي وأيرس يونغ من خطر حصر العدالة في أفق سياسات

الهوية الضيقة لما يؤدي إلى إغفال أبعاد التضامن الأوسع التي يمكن أن تتأسس عليها الحياة المشتركة (Yong, 1990, pp98,99). فخطاب الاعتراف في الفكر المعاصر يركز على إبراز دور العلاقات المتبادلة في تكوين الهوية، غير أنه يواجه انتقادات حادة بسبب قابليته للتحوّل إلى أداة تقييد بدل التحرّر. فبدلاً من أن يفتح المجال أمام تحولات الهوية وتجاوزها لحدودها الضيقة، قد يرسّخ أنماطاً معيارية تجعل الأفراد والجماعات أسرى انتماءات ثابتة. وقد أبرزت جوديث بتلر هذا البعد النقدي، محدّرة من القيد الهويّاتي الذي يعطل إمكانات التغيير. كما لفت كل من ريتشارد رورتي وآيرس يونغ إلى أنّ الاقتصار على سياسات الهوية يهدد بإضعاف أسس التضامن الإنساني الأوسع، الضروري لتحقيق عدالة أكثر شمولاً. هكذا يكشف النقاش عن توتر قائم بين مطلب الاعتراف بالاختلاف وحاجة المجتمعات إلى أفق مشترك يضمن الحرية والتعددية.

4.6- النقد ما بعد الكولونيالي:

من منظور ما بعد استعمارية، يبرر النقد الموجه إلى فكر تايلور في سياق سياسات الاعتراف بسبب ما يرى على أنه قصور في معالجة علاقات القوة الكامنة وراء الاعتراف، ففي حين يركز تايلور على بعد الاعتراف الأخلاقي والثقافي للذات، فإن هذا الإطار قد يغفل على الديناميات الهيكلية للسلطة والعنف الرمزي خاصة في السياقات الكولونيالية المهمشة.

في كتابه 1952 "بشرة سوداء أقنعة بيضاء" Blak Skin wites Mask يظهر فرانز فانون أن مطلب الاعتراف في السياق الكولونيالي لا يمكن فصله عن العنف المهمين، حيث يظل المستعمر يسعى إلى اعتراف المستعمر ضمن أفق هيمنة لا يمكن تجاوزه، حيث يفرض الاعتراف شكلاً من أشكال الخضوع النفسي والاجتماعي الذي يجمد إمكانية القرار (Fanon, 1952, pp6,9,17,19)، هذا التحليل يسلط الضوء على البعد المادي والسياسي للسلطة في تشكيل الهويات، ما يكمل ويحدّ من رؤية تايلور التي تميل إلى التركيز على الحوار الثقافي.

من وجهة النظر هذه، فإنّ الاعتراف في السياق الاستعماري يختلف كلياً عن الاعتراف في الفضاء الديمقراطي أو الأخلاقي الذي تحدّث عنه هيغل أو تشارلز تايلور. ففي حين يفترض هؤلاء إمكان قيام علاقة متبادلة تقوم على الاحترام المتكافئ، يؤكد فانون أنّ الاعتراف في إطار الاستعمار محكوم سلفاً بعلاقات قوة غير متكافئة، تجعل من الصعب على المستعمر أن ينتزع اعترافاً يحزّره أو يعيد إليه كرامته. إنّ اعتراف مشروط بإذعان للمعايير المفروضة عليه، ما يجعل مطلب الاعتراف ذاته جزءاً من آليات الضبط والسيطرة. ولذلك، فإنّ فانون يربط أيّ تحقّق فعلي للاعتراف بتحرّر جذري من منظومة الاستعمار، أي بتحطيم بنيتها العنيفة التي تتخفى خلف لغة التحضّر والإصلاح. فلا يمكن للاعتراف، في نظره، أن يكون أداة للتحرّر إلّا إذا تمّ انتزاعه خارج أفق الهيمنة الاستعمارية، أي إذا تحقّق ضمن شروط جديدة لعلاقة الإنسان بذاته وبالأخر، حيث يصبح الحوار ممكناً والمساواة حقيقة لا ادّعاء.

أما غايا تري سبيفاك فقد طرحت في مقالها الشهير (1988) Can the Subaltern Speak هل يستطيع التابع أن يتكلم؟ سؤالاً نقدياً حول إمكانية التعبير والاعتراف: هل يمكن للتابع أن يتكلم؟ حيث توضح أنّ الاعتراف مهما كان ظاهراً فإنه لا يمكن سماع صوت المهمشين مالم يتغيّر منطق السلطة ذاته. أي أنّ الاعتراف يبقى شكلياً ما لم يعاد ترتيب العلاقات الهيكلية التي تبقي الفئات المهمشة في وضعية تابعة صامتة (Spivak, 1988, pp66,72) وهنا توضح غايا تري سبيفاك محدودية مقاربة تايلور في التعامل مع الهيمنة البنيوية (قد يكون الاعتراف الأخلاقي وحده لتمكين الفئات المهمشة).

يضيف كواسي أبياه إلى أن الاعتراف يقود إلى ما أسماه أخلاقيات الأصالة التي تجبر الفرد على الانتماء إلى هويات صلبة، بدل أن توفر لهم إمكانية الانفتاح على أشكال متنوعة من الانتماء والتداخل الهوياتي (Appia,2005,pp62.67) وهذا النقد برر أن عملية الاعتراف ليست تلقائياً وسيلة للتحرر بل إنها يمكن أن تتحول إلى آلية تثبيت هوياتي قسرية، وهو ما يعد تحدياً مباشراً لمفهوم تايلور عن الذات الحديثة وأخلاقيات الأصالة التي تعتمد على الحوار الثقافي والانفتاح على الآخر.

5.6- نحو أفق متكامل للعدالة و الاعتراف:

إن كثرة الانتقادات التي وُجّهت إلى المشروع الفلسفي لنشارلز تايلور، على الرغم من وجاهتها وقيمتها النقدية، لا تقلل من أهميته في إعادة التفكير في العلاقة بين الفرد والجماعة، بل تكشف الحاجة إلى تطويره ضمن أفق أكثر تكاملاً وشمولاً. فهذه الانتقادات أبرزت محدودية الاقتصار على الاعتراف في صورته الثقافية أو الهوياتية البحتة، ودعت إلى التفكير في أبعاد أخرى تمسّ العدالة الاجتماعية والشروط المؤسسية للتنفيذ. ومن ثمّ يمكن اقتراح صياغة إطار ثلاثي لتقييم أي سياسة اعتراف: أولها البعد المعياري الذي يركّز على حفظ كرامة الإنسان بوصفها القيمة الأخلاقية العليا التي ينبغي أن تكون مبدأً موجّهاً لكل السياسات؛ وثانيها البعد العملي الذي ينظر في قدرة المؤسسات السياسية والقانونية على تجسيد هذه السياسات في الواقع بصورة منصفة وفاعلة؛ وثالثها البعد التاريخي الذي يراعي سياق القوى الفاعلة وشروطها الاجتماعية والسياسية التي تؤثر في إمكان نجاح أو إخفاق سياسات الاعتراف.

ويقتضي استكمال المشروع التايلوري كذلك دمج الاعتراف بالتوزيع كما اقترحه نانسي فريزر وأمرتيا سن، بحيث لا يقتصر التركيز على صون الهويات الثقافية بل يشمل أيضاً مواجهة أنماط الحرمان المادي والاقتصادي التي تُعمّق اللامساواة وتُضعف قدرة الأفراد والجماعات على المشاركة الفعلية في الحياة العامة. فالتوازن بين العدالة الاعترافية والعدالة التوزيعية شرط لبناء سياسات عامة قادرة على توطيد كل من التنوع الثقافي والتماسك الاجتماعي، و إلى جانب ذلك، ينبغي أن تتفتح هذه السياسات على الفضاء العمومي التداولي الذي يسمح بممارسة نقد متبادل بين الجماعات والهويات المختلفة، في إطار علائقي حجاجي يرسّخ ثقافة الحوار ويحول دون تحوّل الاعتراف إلى قيد هويّاتي مغلق. فالفضاء العمومي هو الضامن لبقاء الاعتراف دينامياً ومتجدداً بدل أن ينغلق في صيغ معيارية جامدة. كما أنّ تطوير المشروع التايلوري يتطلّب توسيع مفهوم الهوية ذاته من تصوّرها كجوهر ثابت إلى فهمها كبنية متحركة وديناميكية، تتشكّل باستمرار عبر التفاعل مع الآخر وتحت تأثير التحولات الاجتماعية والثقافية. فهذا الفهم المرن للهوية يمكّن من تجاوز النزعة التثبينية التي حدّرت منها القراءات التفكيكية، ويتيح رؤية الاعتراف باعتباره عملية تاريخية مفتوحة وليست تسوية نهائية.

وبهذا المعنى، لا تقضي هذه الانتقادات إلى إبطال المشروع التايلوري، بل إلى تعميق إمكاناته وتجديده بما يجعله أكثر قدرة على الاستجابة لتحديات عالم اليوم؛ عالم يسعى إلى الجمع بين احترام التنوع الهوياتي وضمان العدالة الاجتماعية وتعزيز الحوار الديمقراطي بين مختلف الفاعلين.

الخلاصة:

نجح شارلز تايلور في وضع اقتراح حل فلسفي لإشكالية مفارقة الأصالة الفردية والالتزام الجماعي والتي هي إحدى أهم الإشكالات المركزية في الفلسفة الاجتماعية والسياسية المعاصرة، مع التركيز على المقاربة التي يقدمها تايلور. حاولنا إبراز الكيفية التي طور بها تايلور عبر مفهومي " الذات والحوارية و"سياسة الاعتراف، تصوراً فلسفياً متماسكاً يتجاوز الثنائية التقليدية بين الفرد والمجتمع.

كما رأينا تقديم تايلور نقداً حاداً للفردانية الذرية التي تفترض إمكانية وجود الذات في الانفصال عن محيطها الاجتماعي والثقافي، مؤكداً أن الهوية الإنسانية تتشكل داخل شبكة من العلاقات الحوارية مع الآخرين، ومن خلال أطر لغوية وثقافية تمنحها المعنى، فالذات في نظره ليست كيانه مغلقاً على ذاته. بل إنها مفتوحة على الآخر وتتغذى من الاعتراف المتبادل، وهذا الاعتراف سواء كان اعترافاً بالكرامة المتساوية أو بالهوية المتميزة وهو شرط لتحقيق الأصالة الحقيقية. ومن هنا يصبح الاعتراف بالتنوع الثقافي وسيلةً تتيح للأفراد التعبير عن ذاتهم في إطار جماعة خاصة وداعمة.

إن جوهر الحل التايلوري يتمثل في تصويره للجماعة بوضعها استعداداً داخلياً لا باعتبارها سلطة مفروضة من الخارج، فالأصالة الفردية لا تتناقض مع الالتزام الجماعي، بل تفترضه وتستند إليه لأن الجماعة تمنح الفرد الأفق الأخلاقي والمعياري الذي يمكن من خلاله أن يصوغ قيمته الخاصة ويبلور هويته ويحقق ذاته على نحو أصيل.

هكذا إذن تُعدّ فلسفة تشارلز تايلور أفقاً معرفياً جديداً وخصباً يتيح الانفتاح على آفاق و مجالات بحثية جديدة، سواء من خلال تعميق النظر في دينامية العلاقة بين الفرد والجماعة أو عبر مقارنتها بمقاربات أخرى تناولت الإشكالية نفسها. فهي لا تقدّم مجرد تفسير معياري لهذه العلاقة، بل تضع أساساً نظرياً لفهم التوازن الدقيق بين مطلب الأصالة الفردية والحاجة إلى أسس مشتركة للعيش الجماعي، الأمر الذي يجعلها مرجعاً أساسياً في النقاشات الراهنة حول الهوية والاعتراف والتعددية الثقافية.

-الاحالات والمراجع

أبيه، كوامي أنطوني (2021). *سياسات الهوية والاعتراف*. ترجمة: عز الدين الخطابي، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

بتلر، جوديث (2021). *الحيلة النفسية للسلطة: نظرية في علم الاجتماع*، ترجمة: نور حريري، سوريا، دار نيتوي للدراسات للنشر والتوزيع.

تايلور، تشارلز (2014). *منابع الذات تشكّل الهوية الحديثة* (ترجمة حيدر حاج إسماعيل)، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.

تايلور، تشارلز (2021). *أخلاقيات الأصالة*، (ترجمة و تقديم أحمد عويز)، العراق، المركز الأكاديمي للأبحاث. رولز، جون (2009). *العدالة كإنصاف: إعادة صياغة*، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: ربيع شلهوب، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

ساندل، مايكل (2009). *الليبرالية وحدود الحرية*، ترجمة: محمد هناد، مراجعة: الزبير عروس، عبد الرحمن بوقاف، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد باشا، نادية (2019). *أخلاقيات الأصالة عند تشارلز تايلور*، مجلة البحث العلمي في الآداب، 4(20)، 604-636.

المسكيني، فتحي (2011). *الهوية و الحرية نحو أنوار جديدة*، لبنان، جداول للنشر والتوزيع.

هونيت، أكسل (2011). *الصراع من أجل الاعتراف*، (ترجمة فالح عبد الجبار)، لبنان، المنظمة العربية للترجمة،

Charles, T. (1992). "The Politics of Recognition". In An. essay (ed.) Multiculturalism: Examining the Politics of Recognition. Princeton University Press.

Charles, T. (1994). "The Politics of Recognition". In A. Gutmann (ed.) Multiculturalism: Examining the Politics of Recognition. Princeton University Press.

- Charles ,T. (1995). *Philosophical Argumentes*.Cambridge.MA.Harvad University.Press.
- Charles, T. (1989).*Sources of the Self: The Making of the Modern Identity*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Fanon, F. (1952). *Peau noire, masques blancs [Black Skin, White Masks]*. Éditions du Seuil.
- Fraser, N. (2000)."Rethinking Recognition." *New Left Review*.(03).107-120.
- Habermas, J. (1996). *Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy*. MIT Press.
- Nussbaum, M. (2000). *Women and Human Development: The Capabilities Approach*. Cambridge University Press.
- Sen, A. (1999). *Development as Freedom*. Oxford University Press.
- Spivak, G. (1988). "Can the Subaltern Speak?" In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.),
- Young, I. (1990). *Justice and the Politics of Difference*. Princeton University Press.